القضية الفلسطينية ، ورصد ردود الفعل عليه :

« تكلم حميد فرنجية في مأدبة العشاء ، واجبته مرتجلا ، وقبل ان اختم خطابي مر في بالي شبح فلسطين ، وتخيلت البلد الماروني البحت الذي انا فيه ، وقلت في نفسي : هذه فرصة سانحة لاستفتي لبنان المسيحي في قضية فلسطين ، وسياستنا فيها ، وما هي لحظة حتى عرضت المسألة امام الحاضرين فقلت : « اذا رجعتم الى قلوبكم والى ضمائركم،امكنكم ان تشعروا بمدى الاهتمام الواجب بهذه القضية ، اذ ليس من العدل ان يؤتى من مشارق الارض ومغاربها باناس لا يربطهم بنا اي نسب ليكونوا اكثرية مصطنعة · فاليهودية شيء ، والصهيونية شيء آخر ، اليهودية دين تسلسلت عنه المسيحية واعترف به الاسلام ، فابناؤها من هذه الناحية لهم ما لنا وعليهم ما علينا من الحقوق والواجبات ، انما الصهيونية فكرة تحكم واستثمار وسيطرة سياسية لا علاقة لها بالدين قط ··· واني وانا في منطقة مسيحية صرفة ، بل ومارونية صرفة ، اعلن ان هذه الفكرة هي فكرتها ، وهي تؤيدها ··· » وما ان القيت هذه العبارة حتى شق التصفيق والهتاف عنان الجو، واطلقت السهام النارية في الجو استحسانا وحماسة ، ولم يكن لذلك ادنى استعداد او تهيئة · وهذا كان اول صوت رسمي لرئيس دولة عربية ارتفع للذود عن فلسطين ،وفرق بين اليهودية والصهيونية ، وهو صوت رئيس جمهورية لبنان ، في بلد ماروني مائة بالماية ، فاستقبله البلد الباسل بتلك العاطفة الفياضة » · (المجلد الثاني ـ صفحة ١٦٥) ·

مثل هذا الكلام الذي فيه شيء من العاطفة مع شيء من الفكر ، يقف عند منتصف الطريق فيقول عن الهجرة اليهودية الى فلسطين « يؤتى من مشارق الارض ومغاربها باناس ··· » ، فلا يشير الى العلاقة بين الاستعمار (بريطانيا في ذلك الوقت) وبين المشروع الصهيوني فخلق بذلك موقف تاييد عاطفي بدلا من موقف التأييد السياسي ، الامر الذي اثبت فشله بعد ذلك في مواجهة التحديات الحقيقية للقضية الفلسطينية ··· لذلك فاننا نجد ، بعد ثلث قرن ، رئيس جمهورية لبنان سليمان فرنجية يقول كلاما مشابها امام الامم المتحدة ، ولا يمنع ذلك أن يكون هذا الرئيس نفسه قد قاد قبل خطاب الامم المتحدة محاولة سحق المقاومة الفلسطينية بواسطة الجيش الرسمي ، ثم قاد بعد خطاب الامم المتحدة محاولة سحق المقاومة الفلسطينية بالمليشيات الانعزالية ·

واذا كان بشارة الخوري قد حاول لتبشير بقضية فلسطين في اهدن ، فانه يروي لنا مشهدا مختلفا ، وبلهجة مختلفة من رحلة صيدا فيقول باختصار شديد :

« وانتقلت الى الكلام عن فلسطين ، في بلد يعتبر جبهة اولية في خط الدفاع ضد الصهيونية » (المجلد الثاني ـ صفحة ١٧١)) ، ولا يرى حاجة لان يضيف الى هذا الكلام شيئا حول هذا الموضوع ·

نجد ان الشيخ بشارة الخوري يكاد يعترف في جزء آخر من مفكراته بان هناك شيئا ما غير الدعاية يجب عمله للقضية، وان قوى خارجية تتدخل لفرض مشروع انشاء دولة اسرائيل ، ولكنه يطرح الاسئلة وبسرعة ، ويجيب بسرعة اشد اجابة الذي يعرف الحقيقة ويتهيب من الاعتراف بها ، خوفا مما يترتب عليها من خطوات سياسية· وهذا مقطع بالغ الدلالة ، بالغ الصراحة ، في هذا المجال·يقول في التعليق على اجتماع انشاص (ايار ١٩٤٦) الذي كان اول مؤتمر ذروة عربي (على حد تعبير الشيخ بشارة) دعا اليه الملك فاروق «للمشاورة بشؤون تهم الجامعة العربية عامة وفلسطين خاصة » ، يقول :

« وليتنا ونحن نعد الوثيقة الشهيرة ،التي نشرت على العالم ، فكرنا بتأليف جيش